نبذات من عظات

الحياة الروحية السليمة

٤٣

القمص يوسف أسعد

الحياة الروحية السليمة

نود بنعمة المسيح أن نتأمل فى أصول الحياة الروحية السليمة، وذلك من خلال حياة الكنيسة المسيحية الأولى.

الباب الضيق:

أعتقد أن المدخل الأوحد للحياة الروحية السليمة هو الباب الضيق، هذا الذى قال عنه سيدنا رب المجد لجميعنا: «اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضِّيقِ» (لو ١٣ : ٢٤).

فالحياة الروحية السليمة هى اختيار بين اتساع واضح وراحة كاذبة يَعِد بها العالم أولاده، بما فيها من تمتع وقتى ولذات حسية، وهذا كله يقابله على الجانب الآخر تعب كثير وجهاد مضنى، وتدقيق شديد، لكى لا يصير فى لحظة مصيره الهلاك..

فالعالم بطبيعته يقدم السهل، والإنسان بطبيعته يطلب السهل، وعندما يوجد الأسهل فسنجد جماعات بشرية تأخذ بعضها البعض

بتيار جارف وغالب تحت خدعة السهل والأسهل، **أما الطريق إلى الحياة الروحية السليمة فهو الباب الضيق، وفيه اختيار للتعب، بل للشبع بالتعب**، وذلك كما قيل فى الكتاب المقدس «الإِنْسَانُ مَوْلُودُ الْمَرْأَةِ قَلِيلُ الأَيَّامِ وَشَبْعَانُ تَعَبًا» (أى ١٤ : ١)، فالإنسان الروحى يضع نصب عينيه التعب.

والتعب لا اختيار معه لشئ آخر غيره.. سأتعب وسأرتب نفسى على التعب.. لأنى إخترت ما قدمه لى سيدى مريح كل التعابى، واسمه الراعى المريح، ولذلك عندما قال لى ادخل من الباب الضيق سأرتب نفسى دوماً على أن الطهارة ليست كلاماً وإنما تعباً، وأن الأمانة ليست كلاماً وإنما تعباً، وأن الصدق هو التعب، والعطاء المستمر هو التعب.

اختيار الباب الضيق:

لا يوجد اختيار بديل، وطريق الشيطان دائماً أن يقدم لى فى **وقت المعاناة الطريق السهل** وذلك لكى يسرقنى نحو الباب الواسع، فكثيرين بدأوا حسناً وسُرِقوا، وهذا لأنهم نسوا أن الحياة الروحية السليمة لا تقوم إلا بالتعب.

فمن الطبيعى أن لدى عمل كثير ولكن لابد أن أصلى وذلك لكى يكون لى صلة بإلهى.. وأيضاً مسئولياتى كل يوم تزداد عن سابقه، ولكننى سأرتب نفسى على التعب، لذلك سأتعب. ودائماً سأصلى وأنا متعب، فإننى عندما إخترت الباب الضيق كنت مدركاً إننى لن أصلى وأنا مستريح فى يوم ما.. بل باستمرار لدىَّ مسئوليات ومتاعب تشدنى، لكى أسرق بالعمل الكثير دون الصلة بالله.

وهذا أمر فى غاية الخطورة فى الحياة الروحية، فالإنسان الذى يفكر أن يعيش روحياً بطريقة صحية، لابد أن يضع أمام عينيه أن الطريق الذى اختاره لنا السيد المسيح هو الباب الضيق، ومهما كانت عروض العالم فسيظل اختيارى هو الباب الضيق..

وهذه البداية هى التى نجد معها كل حياة روحية قوتها بل وفتيلة شعلتها، فإن أردت أن تعيش حياة روحية سليمة فارفض أن تستريح أينما وجدت.

ستجد التعب من أولادك، من إخوتك، من زملائك، من أقاربك، من زوجتك، من زوجك، بل وممن لا تتوقع ستجد تعباً.. فإذا وجدت التعب فاتخذ منه فرصة لأن تبدأ حياة روحية سليمة..

فلا تتذمر مع التعب، **فإن التذمر يعمى عينيك عن النفع الموجود فى كل تعب.**

إن خبرة الآباء القديسين عديدة فى هذا الصدد. . فهناك فتاة أحبت المسيح وأرادت أن تعيش له، وكانت ابنة لرجل غنى جداً، وكانت قد تيتمت من أمها وهى صغيرة جداً، فرباها أبوها، ولما أراد أن يزوجها ويمضى هو إلى أحد الأديرة، قالت له: «لماذا ياوالدى تخلص نفسك وتهلك نفسى؟» فأجابها: «ماذا أصنع بك وأنت امرأة؟» فقالت له: «انزع عنى زى النساء، وألبسنى زى الرجال» ونهضت فى الحال وحلقت شعرها وخلعت ملابسها ولبست زى الرجال. فلما رآها أبوها قوية فى عزمها مصممة على رغبتها وزع كل ماله على الفقراء بعد أن أبقى له منه شيئاً يسيراً.

ثم قصد أحد الأديرة وسكن فى قلاية هو وابنته. وقضيا عشر سنوات وهما يجاهدان فى العبادة. وبعدها تنيَّح الشيخ، وبقيت القديسة وحدها، فضاعفت صلواتها وأصوامها وزادت فى نسكها، ولم يعلم أحداً أنها امرأة، بل كانوا يظنون أن رقة صوتها إنما هو من شدة نسكها وسهرها فى صلواتها.

واتفق أن رئيس الدير أرسلها مع ثلاثة من الرهبان لقضاء مصالح

الدير، فنزلوا فى فندق للمبيت، وكان أحد جنود الملك نازلاً فيه تلك الليلة، فأبصر الجندى ابنة صاحب الفندق فاعتدى على عفافها، ولقنها بأن تقول لأبيها: «إن الأب مارينا الراهب الشاب هو الذى فعل ذلك» فلما حملت وعرف أبوها ذلك غضب وأتى للدير وبدأ يسب الرهبان ويلعنهم، ولما إجتمع به الرئيس طيَّب خاطره وصرفه، ثم إستدعى هذه القديسة ووبخها كثيراً، فبكت عندما وقفت على الخبر وقالت: «إنى شاب وقد أخطأت فاغفر لى ياأبى» فحنق عليها الرئيس وطردها من الدير، فبقيت على الباب مدة طويلة.

ولما ولدت ابنة صاحب الفندق ولداً، حمله أبوها إلى القديسة وطرحه أمامها، فأخذته وصارت تنتقل به بين الرعاة وتسقيه لبناً. ثم زادت فى صومها وصلاتها مدة ثلاث سنين وهى خارج الدير، إلى أن تحنن عليها الرهبنان، وسألوا رئيسهم أن يأذن بدخولها، فقبل سؤالهم وأدخلها الدير بعد أن وضع على القديسة قوانين ثقيلة جداً.

ولما كبر الصبى ترهب. وبعد أن أكملت القديسة مارينا أربعين سنة مرضت ثلاثة أيام ثم تنيحت. فأمر الرئيس بنزع ملابسها وإلباسها غيرها وحملها إلى موضع الصلاة، وعندما نزعوا ثيابها

وجدوها امرأة فصاحوا جميعاً قائلين: يارب ارحم، وأعلموا الرئيس فأتى وتعجب وبكى نادما على ما فعل، وبدأوا يكرموا جسدها.. ولكن هذا الإكرام كان بعد أن تنيحت وبعد كل إتهامها وظلمها كل أيام حياتها.

وصارت القديسة مارينا من عمالقة قديسينا، وذلك لأنها إختارت الباب الضيق لا ليوم ولا لشهر أو حتى لسنة بل جميع أيام حياتها.

لاشك أن هذا طريق ضيق جداً.. فهل يوجد منكم من يحتمل السير فى طريق الظلم وهو برئ.. ولكن هذه الفتاة نظرت إلى وجه الطفل وقالت.. إنه رسالة.. فما المانع؟ وهكذا كان أسلوب تعاملها مع فكرة الباب الضيق، لقد كان من الممكن أن تدافع عن نفسها.. ولكنها أرادت ألا تُظهر ذاتها، وما قد ينالها من مديح لظهور قداستها.

وهكذا إختارت الباب الضيق، وعرفت كيف تعيش الإهانة التى أهانها بها الناس والإتهامات فى أصعب الأمور.. والأكل الغير مرتب، والنوم الغير مريح فى العراء.. ولم تكن أبداً فى فقدان للعقل، ولكن لأنها منذ أن تركت بيت أبيها رتبت نفسها على التعب.

وفى الحقيقة إن كنا نتعجب من هذه المعيشة الصعبة فى نظر الجميع فلنتذكر دائماً أنه حتى لو عشنا على هذا المنوال ولو إلى ألف عام فإن هذه الأعوام لا تساوى ثانية من ثوانى الأبدية بكل جمالها، فالأعوام التى إحتملتها هذه القديسة لا تساوى شيئاً من مجد الراحة والقداسة والكرامة التى ستنالها من يد الله فى الأبدية..

أين نحن من هذا النموذج؟! قد نكون على الطرف الآخر، فإذا توبخنا من إنسان أو ظُلمنا من إنسان فى كلمة أو قيل علينا شيئاً ما، فمن الممكن أن نغير طريقنا فى الحياة تماماً، وهذا لأننا دائماً نبحث عن ذواتنا.. لا عن مجد المسيح فى حياتنا، ومجده لا يتحقق إلا بالباب الضيق.

ولذلك لابد أن نرتب أنفسنا على هذا الباب، فالذى يريد أن يعيش روحياً للمسيح لابد أن يختار الباب الضيق.

حكمة الصليب والباب الضيق:

بالحكمة، والحكمة غير الذكاء.. فالحكمة الروحية نازلة من فوق، أما الذكاء فهو الاستخدام الأمثل للمواهب العقلية الموجودة

عند الإنسان، فمن الممكن أن يكون الإنسان باطنه شريراً ولكنه قد يكون ذكياً فيُسيّر أموره.

لكن هذا الذكى فى الأبدية والدينونة لن يستطيع أن يُسيّر أموره بهذا الذكاء البشرى..

فالذين اختاروا الحياة الروحية السليمة لا يصلح معهم غير الحكمة النازلة من فوق، مثل تلك التى رأيناها فى رد السيد المسيح على ذلك الإنسان الذى دعاه لتبعيته فيقول الإنجيل لمارلوقا «وَقَالَ لآخَرَ اتْبَعْنِي. فَقَالَ يَا سَيِّدُ ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ» (لو ٩ : ٥٩، ٦٠).

فإجابة التلميذ هنا كانت فى منتهى الإكرام والإحترام للسيد المسيح فهو يرد عليه ويقول له يا سيد.. ثم يقول أيضاً ائذن لى، وهو بهذا يحترم الرب يسوع ويطلب منه الإذن.. فهذا الإنسان لم يكن ضداً للمسيح بل يسير معه واختار المسيح سيداً له.. وكل ما يطلبه هو أن يمضى أولاً ليدفن أبيه، إذ أن دفن الميت هو إكرامه.. فهو يريد أن يُكرم أبيه الذى رباه وكبره.. فهذا العمل هو ضرورة كآخر شئ يُكرم به أبيه.. وبالطبع هنا لا يمكن أن يكون هناك إنساناً يؤجر

ليحل محل هذا الإنسان فى دفنه لأبيه.

ولكن السيد المسيح الجزيل الرحمة والحنان.. أمره بأن يدع الموتى يدفنون موتاهم.. فهذه هى كلمة الحكمة السمائية الأزلى، أى أنه رد عليه بأن يترك أبيه الميت ليدفنوه الميتين مثله البعيدين عن الحياة الأبدية.

أما كلمة الحكمة الثانية فهو لم يجعله يجلس بجانبه ليعطيه حناناً يعوضه عن أبوه، وإنما أمره بأن يذهب وينادى بملكوت الله.. وهذه هى الحكمة النازلة من فوق.

لأجل هذا تصبح الحكمة الروحية غير مهضومة عند الناس، فهى لا تؤخذ من مفاهيم الناس ورغبات العواطف وهوى البشرية التى سقطت. ولكنها تؤخذ من فوق، من السمو.

فالصوم حكمة روحية بالرغم من كل أقوال الأطباء والناس، والاحتمال حكمة روحية مهما قال الناس فيها، ومهما كانت مفاهيمهم حولها، فاحتمال القديس ديمتريوس الكرّام عندما طُعن فى بتوليته هو نموذج للحكمة الروحية النازلة من فوق.

فحكمة الصليب جهالة عند الناس.. وحكمة الألم من أجل

الأبدية مرفوضة عند الناس التى تطلب الراحة فى كل شئ، لهذا كثيرون يدعون وقليلون ينتخبون.. فهؤلاء القليليين هم الذين اختاروا السيد المسيح.. اختاروا الحكمة الروحية من أجل المسير فى الباب الضيق.

فعندما أحب السيد المسيح أن يُرينا نموذجاً فى الحكمة، اختار الحية، التى لديها الاستعداد للتخلى عن جلدها ولحمها فى سبيل النجاة بنفسها.. فعندما تُطارد الحية وتحس بالخطر وعدم قدرتها على مواجهة الخطر تجدها تهرب للدخول فى أى شق صغير، وتنسلخ عن جلدها بجزء من لحمها.. تتنازل عنه وذلك لكى تطلب الحياة وتنقذ من الموت.

فنحن أحياناً نتمسك بالكرامة والذات إلى حد قد يهلكنا، أو نتمسك بأمور حسية ربما تعطلنا عن لذة الحياة الأبدية، ولكن حكمة الانسلاخ أى حكمة الزهد ضرورية للباب الضيق.

لهذا سمعنا قولاً جميلاً لمار إسحق السريانى يقول فيه: ازهد فيما بين يديك يحبك الله وازهد فيما بين يدىّ الناس يحبك الناس.. أى ازهد فى الكرامة.. فى المال.. فى المركز.. فى اللذة.. وفى كل شئ تنسلخ، وعملية الانسلاخ هذه عملية تشابه تماماً

عملية الولادة، فهى ليست عملية سهلة.

فالذى يريد أن يكون الباب الضيق واسعاً بالنسبة له أو مريحاً لابد أن يصير حكيماً بحكمة الصليب لا بحكمة الناس، والصليب ياأحبائى حينما عرفه ماربولس في رسالته إلى فيلبى قال: «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ..» (فى ٢ : ٦ ـ ٨).

فحكمة الصليب جوهرها اتضاع الإنسان.. أى أن يُخلى الإنسان نفسه، فيصير فى نظر الناس لا منظر له ولا جمال فيشتهى، ولكنه يصير فى نظر الله ابنه الحبيب الذى به يُسرُّ..

يا عزيزى إذا أردت حياة روحية سليمة فابدأ بالباب الضيق، ولا تأخذ حكمتك من الناس وآراء الناس، وإنما خذ حكمتك من الصليب، من هذا الاتضاع الكلى الذى يجعلك تضع نفسك آخر الكل فى نظر عينيك.. أضعف الكل.. أشر الكل.. أقل الكل، وهذه الحكمة فيها نزول ولكنها فى الحقيقة هى حكمة الصعود. فالذى ينزل هو الذى يصعد، وهكذا قال الإنجيل «كُلُّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ

يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ» (لو ١٤ : ١١).

لذلك انزل فى نظر نفسك وأمام الله، ليس مهماً عيون الناس وأقوالهم عليك، لكن المهم هو الله الذى يحكم على قلبك.. ولهذا فالله هو الذى سيرفعك، فهو يقول «طُوبَى لِلَّذِي يَنْظُرُ إِلَى الْمَسْكِينِ. فِي يَوْمِ الشَّرِّ يُنَجِّيهِ الرَّبُّ» (مز ٤١ : ١)، وحتى لو كان الناس يحطون من شأنك فلتظل على نفس الطريقة.. ولكن الله سيرفعك وسيصعدك إلى فوق.. فهذا هو ميراث الصليب، فإن الذى أهين واستضعف وسُمِّر فوق الصليب هو الذى قهر الموت والظلام وأنار لنا الحياة والخلود فأصبح الطريق واضحاً نحو السماء.

جوهر الصليب والباب الضيق:

إن حكمة الصليب ليست فقط اتضاعاً، فإن كنت تريد أن يتسع لك الباب الضيق فلا تأخذ حكمة الصليب فقط بل جوهر الصليب، والحب هو جوهر الصليب، فنحن نصرخ فى القداس الإلهى ونسأله عن سبب رضاه بتلك المهانة العظيمة: «أيها العظيم.. أيذَل الممجد.. أيوضع المرتفع.. يالعظم حبك.. نعم هو حبك العظيم الذى جعلك تقبل احتمال كل ذلك العذاب لأجلى».

فالرب قد أحبنا ونحن أثمة وليس فينا شيئاً نُحب من أجله، أحبنا ونحن خطاة وأشراراً.. فالحب هو الذى جعل الصليب يتحول إلى مجد، والعار الذى كان للصليب صار فخاراً، وهذه هى المحبة التى إن دخلت فى أمر، تجعلنا نستطيع أن نحتمل مالا يخطر لنا على بال.

والمحبة هنا ليست كمحبة الناس، فطبيعة تلك المحبة متقلبة، ولكن محبة الله الذى هو أمس واليوم وإلى الأبد أبدية، لهذا إن عملت لأجلك عملاً وأنا واضعاً فى قلبى أنه من أجل ربنا يسوع الذى أحبنى، فلن أشعر أنى عملت شيئاً أو حملت عنك شيئاً.

والعجيب أن جوهر الصليب يحمل المصلوب مهما كانت أثقاله فهذه هى المعجزة العجيبة التى للصليب، فكل من يصعد عليه مستسلماً فرحاً راضياً، يجد أن الصليب هو الذى يحمله.. فالصليب يا أحبائى هو الذى يجعل الأثقال التى تُستصعب خفيفة لا يُشعر بها.

فالاحتمال فى المفهوم المسيحى لا يمكن أن يُفسر بتفسير آخر سوى المحبة، والاحتمال عند الناس أو فى الفلسفات أو فى الأديان الأخرى له حدود، ولكن المحبة لا تجعل هناك حدود، فطبيعة المحبة

أنها غير محدودة، فزمن الاحتمال والحمل مستمراً إلى أن تخرج الروح وستظل تحمل إلى النفس الأخير.

هذه الصورة ياإحبائى لا نستطيع أن نحولها إلى أيقونة مُعاشة فينا إلا بالحب.

فنحن نحبك يا يسوع، وليس لنا فى ذلك فضلاً وذلك لأنك أحببتنا أولاً.. ومن أجل هذا الحب سرت أمامنا مثالاً، لهذا فإن كل باب ضيق يوجد فيه لا يوسعه لنا سوى حبك، والأمر العجيب فى هذا الجوهر، هو أننى لن أجد نفسى وحيداً ولكن معى كثيرين لا أعرفهم ولكنهم هم يعرفوننى.. سأجد السيدة العذراء ومارمرقس ومارجرجس ومارمينا. كل هؤلاء سأجدهم معى وقد لا أدرى بهم..

صدقونى ياأحبائى إن حنان أمنا السيدة العذراء لا يوصف بالنسبة للإنسان الذى يعيش مع المسيح فى الباب الضيق، إن هذا ليس كلاماً، فستجد حناناً لا تجده فى أقرب المقربين إليك من مصادر الحنان النقى، ستجد هذا عندما تصر على اختيار الباب الضيق بحكمة ثم بجوهر الصليب.. ستجد سحابة الشهود حولك.

هذا الأمر كان مُفرحاً للكنيسة الأولى جداً.. فاليوم كان تذكاراً

لشهادة عريس وعروسته القديس تيموثيئوس وعروسته، وبعد قطع رؤوسهم رأى شماس أن هناك ملائكة نازلين بتيجان من السماء على رأس هذا الشاب وعروسه.. وقد كان هذا الشماس متردداً ويريد أن ينكر المسيح بعدما رأى عذاباتهم.. ولكنه عندما رأى التيجان تشجع هذا المتردد وإقترب من الصليب، إذ وجد أن نهاية الباب الضيق دائماً كرامة تؤخذ من يد الله، لا من يد الناس.

الباب الضيق والكرامة الحقيقية:

الحقيقة لا يوجد إنسان عاش هذه الحكمة.. حكمة الصليب، وبهذا الحب.. جوهر الصليب، إلا وأكرمه الله حتى بعد أن يصير تراباً، فالقديسة مارينا التى تحدثنا عنها.. أُخِذَ جسدها بعد ذلك بكرامة، وحُمل إلى القسطنطينية، وهناك فاح من جسدها بعد موتها رائحة طيب لاتزال مستمرة..

فإن كنت أنا أحتمل الحياة مع المسيح وأشبع تعباً ويكون دليلى فى هذا حبه واتضاعه، حكمته وجوهر صليبه، فهل من المعقول أن أنتظر كرامة من إنسان، أو شكر من بشر، وإنما أنا أخدم الله من هذا الإنجيل المعاش فلهذا لابد أن يكرمنى الله نفسه.

لهذا لا تنتظر ياعزيزى فى الحياة الروحية السليمة كرامة أو توقير، وذلك لأن طبيعة العالم تحتقر الصليب وتوبخ المصلوبين من أجل المسيح، لكن إن لم يكرمك الناس فلا تتقهقر فى طريقك، وإنما خذ بيدك زمام إرادتك، وسر فى طريقك بثبات، وكرامتك ستكون هناك بعد الممات.

الجديـــة:

أرجو أن لا تأخذوا الحياة الروحية برخاوة، بل بجدية..

أتذكر إنى قلت لأب شيخ أن الشباب هذه الأيام لا يحتملون، فعندما يوجههم الإنسان روحياً لا يحتملون، ويتضايقون لو لم يبتسم فى وجوههم، فطبيعة الأولاد والبنات فى هذا الجيل، طبيعة غضة فيها الكثير من الميوعة، فكان رد هذا الأب الشيخ الحكيم بقصة حدثت معه هو شخصياً مع أب اعترافه الذى كان مثالاً فى الحنان والهدوء.. فلقد ذهب إليه ليعترف، وبعد أن ذكر ما قد صنعه، فإذ به وجد أبوه يدخله إلى غرفة، وقام بضربه ضرباً مؤلماً وهو يقول له (إنه لن يفلح هكذا ولن يدخل السماء لو صنع هذا الأمر ثانية، وأنه فى هذه المرة ضربه بيديه الطرية أما المرة القادمة فسيضربه بالعصا)،

متوعداً إياه لو صنع هذا الأمر ثانية.. وذكر هنا الأب الشيخ الحكيم أنه فى تلك اللحظة قام من هذا الضرب وهو يفكر أنه لا علاقة له بهذا الأب، وأفكار أخرى كثيرة، ولكنه نظر للسيدة العذراء وقال لها هل من المعقول يا عذراء إن أبونا يضربنى هكذا وأنت موجودة.. هل كنت تريدين ضربى فأرسلتى يد أبونا لترجعنى للطريق.. ثم ذكر لى أبونا، أن هذه الحادثة هى التى صححت إتجاهاته بعد ذلك، وأن هذا الأسلوب هو الذى جعله يصل إلى ما هو فيه الآن..

فنحن لا نستطيع أن نكرز بمسيح آخر.. فإن ترك إنسان الطريق لأجل جدية المعلم فلقد حكم على نفسه بأنه ليس له نصيباً فى السماء، فإن كان فى التعليم الدنيوى الإنسان يحتمل التأديب ويفرح هو وأبيه بهذا، وذلك حتى يتعلم شيئاً، فما بال الأمور الروحية..

فالحياة الروحية السليمة تحتاج إلى جدية تعنى إنى إخترت الطريق وملتزماً به، مهما تكن ضعفاتى، ومهما يكن التأديب اللازم لروحياتى، والحقيقة قليلون جداً الذين وجدتهم فى حياتهم الروحية يسعدون بالتأديب أو الشدة.

أتذكر أن أحد الشباب تصرف بطريقة خاطئة فضربه أبوه،

فجاءت إليه أمه تسأله بعد ضربه، إن كان قد غضب من أبيه أم لا، فقال لها لا بل شعرت أننى مهم عنده ويريدنى فى طريق ربنا.. فطريق الله يحتاج منا إلى جدية.

فالتأديب والتوجيه هما بجدية، فلا تعيشوا الحياة الروحية باستهتار، وإنما إذا أردتم الحياة الروحية السليمة فخذوا كل شئ بجدية، فإن صليتم صلوا بجد.. وإن صمتم فصوموا بجد.. وإن عملتم فاعملوا بجد.. وإن ذاكرتم فذاكروا بجد.. فالجدية عنصر أساسى فى الحياة الروحية السليمة، فالتى تريد أن تتزوج لابد أن ترتب نفسها على المسئولية، على الحب الذى سترعى به زوجها وأولادها، فلا نتهاون ونقول باستهتار أن الله سيعين.

ومعلمنا ماربولس الرسول حينما أراد أن يُعلم تلميذه تيموثاوس الحياة الروحية الصحيحة أهداه هذه النصيحة «فَاشْتَرِكْ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢تى ٢ : ٣)، فالجنود لهم طبيعة صارمة حازمة لا تعرف الرخاوة..

الذى يسمع عظة فليأخذها بجد.. والذى يسمع كلمة الرب يأخذها بجد.. فالذى خلص أهل نينوى هو أنهم أخذوا كلام يونان

النبى بجدية رغم بعدهم عن الله، فلقد أخذهم الله نموذجاً للتوبة، لأنهم تابوا جميعاً بمناداة يونان.

فعندما تستمع لعظة لا تستمع لها على أنها كلمة حلوة فقط، بل خذ الموضوع بجدية، وأن هذا صوت الله لك وهذا هو الذى سيحاسب عليه الله، لا تأخذ نفسك براحة ولا باستهتار، ولا تجعل حزامك واسعاً، بل انظر للذين كانوا يأكلون الفصح وأحقائهم مشدودة وأحذيتهم فى أرجلهم وعصيهم فى أيديهم علامة الاستعداد التام..

عظة باجتماع الشباب الجامعى والموظفين بكنيسة السيدة العذراء بالعمرانية

١٩٨٨/٧/٢١

رقم الإيداع ١٤٤٧٨ /٢٠٠١

الحياة الروحية السليمة هى اختيار بين اتساع واضح وراحة كاذبة يَعِد بها العالم أولاده، بما فيها من تمتع وقتى ولذات حسية، وهذا كله يقابله على الجانب الآخر تعب كثير وجهاد مضنى، وتدقيق شديد، لكى لا يصير فى لحظة مصيره الهلاك..